عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

حوار المخالفين في العقيدة
أصوله ومقاصده عند أهل السنة والجماعة

دكتور

صالح بن غرم الله بن حسن الغامدي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية المعلمين – جامعة الملك سعود

مجلة الثقافة والتنمية العدد الرابع والستون (٦٤) يناير ٢٠١٣م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن الحوار مع المخالفين للدين الحق والمذهب الحق ــ من أتباع الملل والمذاهب المنحرفة على اختلاف دياناتهم وانتماءاتهم ومذاهبهم ــ يعد بابا من أبوب الدعوة إلى الله وإلى دينه القويم وصراطه المستقيم .

كما إنه في الوقت نفسه نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله ، فإن الجهاد بالقلم واللسان يعدل في أحيان كثيرة الجهاد بالسيف والسنان ، ذلك أن الحوار مع المخالفين للحق يحصل به بيان الحق ورد الباطل وكشف الشبه والأباطيل التي يتعلق بها أعداء الحق ، وإظهار فسادها وفساد مذاهبهم ومواقفهم التي بنيت عليها، كما إن فيه سبيلا لإقناع المبطلين المعاندين منهم للقبول بالحق الواضح المبين الوارد في كتاب الله الكريم ، وسنة سيد المرسلين فإن لم يتيسر ذالك؛ فلا أقل من تخفيف شرهم وكف أذاهم عن المسلمين .

ولما كان الحوار ــ في هذا المجال ــ بهذه الأهمية فإن من يتصدى له لابد أن تكون لديه الأهلية من الناحيتين العلمية والأخلاقية ،كما إن من أهم المسائل وأدقها وأولاها في الاعتبار بمشروعية هذا الحوار ونجاحه هي فقه أصوله عند أهل الحق وتحقيقه لمقاصده الشرعية.

ومن هنا تبرز أهمية فقه الحوار مع المخالفين للحق، والحاجة إلى استظهار أهدافه وأصوله وقواعده، وإدراك غاياته ومقاصده عند أهل الحق.

والمتأمل في واقع العالم اليوم يجد أن قضية الحوار مع المخالفين للعقيدة الإسلامية الصحيحة من أتباع المذاهب والديانات والثقافات المختلفة تعد من القضايا التي تحتل مساحة كبيرة من اهتمام العلماء والمفكرين على اختلاف

انتماءاتهم ، كما إنها تعد من الموضوعات الدقيقة والشائكة التي كثر فيها النقاش، وتعددت حولها الآراء، وتباينت في جزئياتها وتفاصيلها وجهات النظر ما بين مؤيد متفائل ، ورافض متشائم ، وبين هؤلاء وأولئك فريق آخر تعامل مع المسألة بحذر وفهم وموضوعية آخذاً في الاعتبار الأبعاد الإيجابية والجوانب السلبية مراعيا في مواقفه ضوابط الشرع ومقتضيات العقل، محاولا الجمع بين الصحيح المنقول والصريح المعقول.

وانطلاقا من هذا الموقف الأخير جاء هذا البحث الذي سوف يتم التركيز فيه _ بمشيئة الله_على الجانب الأهم من جوانب هذا الموضوع الخطير ، وهو جانب مقاصد هذا الحوار وأصوله وأهدافه وغاياته عند أهل السنة والجماعة ؛ فإن هذا الجانب لابد أن يكون حاضرا بوضوح وأن تكون له الأولوية من اهتمام المحاور المسلم المنتمي لأهل الحق في كل زمان ومكان وأن يجعل منه معيارا يقيس عليه في إقدامه على الحوار أو إحجامه عنه إذا رأى أنه لا يراعي الأصول المتبوعة ويحقق الأهداف والمقاصد المشروعة . ولا شك أن لمعرفة أصول الحوار وضوابطه ومقاصده وغاياته وأهدافه أهمية كبرى ، لأن هذه الأصول والمقاصد هي التي تضبط مسار الحوار، وتوجهه نحو الوصول إلى الهدف المنشود الذي يقوم على أساس الدعوة إلى الحق والرحمة بالخلق.

ومما ينبغي التنبه إليه _ في هذا الجانب _ أن مقاصد الحوار وغاياته وأهدافه تتعدد وتتنوع في أشكالها ووسائلها وترتيب أهميتها ، فالمحاورة مع المخالف للحق يقصد بها إما تصحيح مفهوم، أو إظهار حجة، أو إثبات حق، أو دفع شبهة، أو رد باطل، هذه هي أبرز مقاصد الحوار، وهذه هي أهم غاياته، وليس بالضرورة أنه من أول لقاء أو في كل لقاء تحاوري أن نصل فيه إلى الحق أو أن نحقق كل تلك المقاصد ، فإن مما يدخل في مقاصد الحوار التهيئة والتمهيد والتوطئة له . والحوار الناجح الصحيح تعاونٌ بين المتحاورين من أجل معرفة الحقيقة والتوصل إليها، هذه هي الغاية الأصلية؛ لكن هناك

غايات تمهيدية تخدم الحوار وتسهم في إنجاحه ، والمهم في هذا وذاك أن يكون الحوار موافقا للقواعد المرعية ومحققا للمقاصد الشرعية.

ومن هذا المنطلق فإن من أعظم ما يحقق المقاصد الشرعية للحوار ويجعله موافقا للقواعد المرعية ـــ من جميع المنصفين من أتباع الملل والمذاهب ـــ أن يكون المحاور المسلم مستحضرا أنه يدعو إلى الدين الحق والمذهب الحق الذي ارتضاه الله لعباده متمثلا لمبادئه التي تؤكد على أن يكون عالما بالحق رحيما بالخلق صادقا في قيله أمينا في نقله عادلا في حكمه ، وأن يكون على يقين وقناعة بالحق الذي يحمله ويمثله بحيث يظهر أثره جليا في خطابه ومقاله وحماسته لما يدعوا إليه أو ينافح عنه واعتزازه به ، وأنه بقدر ما تتوفر له هذه المقومات مع التسلح بالعلم المؤصل والأدب المهذب فإن خطابه سيكون أوقع وحجته أبلغ ، ولا ينبغي أن يتوهم متوهم أن هناك تعارض بين أهمية بروز هذه المعاني لدى المحاور المسلم وبين ما يؤكد عليه في باب أصول الحوار وآدابه من ضرورة الحرص على هداية المخالف والرفق به والتنزل معه في الخطاب والبدء بالمشتركات ونقاط الاتفاق مع مذهبه فإن هذا لا يعني بحال تمييع الحق وتذويب الحواجز الفاصلة بين الإيمان والكفر أو الحق والباطل ـ كما يقع فيه كثير ممن يزعم انه يمثل الإسلام ومنهج أهل الحق ـ بل يعني تقريب المخالف إلى الحق بالوسائل المشروعة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

وقد قمت بترتيب فصول هذا البحث ومباحثه على النحو الأتي :

- المقدمة وفيها : أهمية الموضوع ، ودواعي الكتابة فيه .
- التمهيد وفيه : الخلاف الواقع بين الخلق . حقيقته ، ومذهب أهل الحق في التعامل معه .
- الفصل الأول : تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح .
- الفصل الثاني : مشروعية الحوار مع المخالفين .

- الفصل الثالث : أهمية الحوار مع المخالفين .
- الفصل الرابع : أنواع الحوار مع المخالفين .
- الفصل الخامس : أصول الحوار مع المخالفين للحق .
- الفصل السادس : مقاصد الحوار مع المخالفين للحق .
- الخاتمة : وفيها أبرز نتائج البحث .

هذا وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل محققا للمأمول ، وافيا بالمقصود إنه سبحانه جزيل العطايا واسع الجود .

التمهيد:

الخلاف بين الناس واقع في مختلف الإعصار والأمصار ، وهو سنَّة الله في خلقه منذ خلقهم ، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم ، وكل ذلك آية من آيات الله ، نبَّه عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْعَالِمِينَ } (الروم:٢٢)

وهذا الاختلاف الظاهريّ دالٌ على الاختلاف في الآراء والاتجاهات والأعراض . وكتاب الله العزيز يقرر هذا في غير ما آية ؛ مثل قوله سبحانه : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (هود:١١٩) .

يقول الفخر الرازي :(والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال)[١].

ومن معنى الآية [٢]: لو شاء الله جعل الناس على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة .. لا رأي لهم فيه ولا اختيار .. وإذَنْ لما كانوا هذا النوع من الخلق المُسمّى البشر ؛ بل كانوا في حيلتهم الاجتماعية كالنحل أو كالنمل ، ولكانوا في الرّوح كالملائكة ؛ مفطورين على اعتقاد الحقِّ والطاعة ؛ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يقع بينهم اختلاف ولا تنازع . ولكنّ الله خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا مُلْهَمين . عاملين بالاختيار ، وترجيح بعض المُمْكنات المتعارضات على بعض ؛ لا مجبورين ولا مضطرين . وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم واختلاف الاختيار .

---

[1] فخر الدين الرازي محمد بن عمر. ٦٠٦ ه **مفاتيح الغيب** . دار إحياء التراث العربي . (٤ / ٨٥)

[2] أنظر: د.صالح بن عبد الله بن حميد . **الحوار وآدابه** . من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.(٥)

أما قوله تعالى : { وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (هود:١١٩) .فإن اللام ليست للغاية ؛ فليس المُراد أنه سبحانه خلقهم ليختلفوا ، إذ من المعلوم أنه خلقهم لعبادته وطاعته . وإنما اللام للعاقبة والصَّيْرورة ؛ أي لثمرة الاختلاف خلقهم ، وثمرته أن يكونوا فريقين : فريقاً في الجنة ، وفريقاً في السعير .وقدّ تُحْمَلُ على التعليل من وجه آخر ، أي خلقهم ليستعدَّ كلٌّ منهم لشأنٍ وعمل ، ويختار بطبعه أمراً وصنعة ، مما يَسْتَتِبُّ به نظام العالم ويستقيم به أمر المعاش ، فالناس محامل لأمر الله ، ويتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .خلقوا مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم ومشاعرهم ، وما يتبع ذلك من إراداتهم واختيارهم في أعمالهم ، ومن ذلك الإيمان ، والطاعة والمعصية .وعلى الرغم من حقيقة وجود هذا التَّبايُن بين الناس ؛ في عقولهم ومُدركاتهم وقابليتهم للاختلاف ، إلا أن الله وضع على الحقِّ معالمَ ، وجعل على الصراط المستقيم منائرَ .. وعليه حُمِلَ الاستثناء في الآية في قوله : { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ } (هود:١١٩) . وهو المنصوص عليه في الآية الأخرى في قوله : { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ } (البقرة:٢١٣) . وذلك أن النفوس إذا تجرَّدت من أهوائها ، وجدَّت في تَلَمُّس الحقِّ فإنها مَهْدِيَّةٌ إليه ؛ بل إنّ في فطرتها ما يهديها ، وتأمَّل ذلك في قوله تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } (الروم:٣٠) .ومنه الحديث النبوي : ((ما من مولود إلا يُولدُ على الفِطْرة ، فأبواه يُهوّدانه ، ويُنَصِّرانه ، ويُمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تُحِسّون فيها من جَدْعاء حتى أنتم تجدعونها ؟))[3] .ويُوضح ذلك ، أن أصول الدين، وأمَّهات الفضائل ، وأمَّهات الرذائل، مما يتفق العالم الرشيد العاقل على حُسْن محموده وحمده، والاعتراف بعظيم نفعه ، وتقبيح سيِّئه وذمِّه . كل ذلك

---

[3] الحديث أخرجه : مسلم في صحيحه . كتاب القدر (٤ / ٢٠٤٧)

جاءت به أدلة الشرع في عبارات جليَّة واضحة، ونصوصٍ بيِّنة لا تقبل صرفاً ولا تأويلاً ولا جدلاً ولا مراءاً. وجعلها الشارع الحكيم أمّ الكتاب التي يدور عليها وحولها كل ما جاء فيه من أحكام ، ولم يُعذَرْ أحد في الخروج عليها ، وحذَّر من التلاعب بها ، وتطويعها للأهواء والشهوات والشبهات بتعسف التأويلات والمُسوِّغات ، أما ماعدا ذلك من الأمور الاجتهادية فقد حض الشارع على الاجتهاد فيها وسوغ وقوع الخلاف فيها بل جعل للمخطئ فيها أجراً وللمصيب أجرين تشجيعاً للنظر والتأمل ، وتَلَمُّس الحقّ واستجلاء المصالح الراجحة للأفراد والجماعات . ولله في ذلك الحكمة البالغة والمشيئة النافذة ، ولما كان الخلاف بين الناس هو مضنة وقوع الشقاق والتنازع والاقتتال فيما بينهم فإن مما لا شك فيه أن الحل للكثير من تلك الخلافات والقاطع لتلك المنازعات هو إعمال لغة الحوار فيما بينهم ذلك أن الحوار هو أسلوب التواصل الأمثل مع الموافق والمخالف، وأنه ما ساد الحوار في مجتمعٍ أو أمةٍ إلا أثمر قوة وترابطا وانسجاما بين مكوناتها ودلّ على رُقيّها العقلي والعلمي والحضاري ؛ ولو بحثنا في البديل عن الحوار، لم نجد إلا التسلّط والتجبر والاستبداد بالقوة. وهي ليست أسلوبا للتواصل أصلاً، بل هي منهجٌ للتقاطع والتهاجر والتدابر، ومع التسلط لا يمكن أن يحصل تفاهم ولا دعوة ولا هداية (وهذه الثلاثة هي مفردات التواصل بين الناس). والتسلّطُ لم يكن يوما.. ولن يكون منهجًا للإقناع العقلي، ولا لمحاولة تغيير المعتقدات الباطلة الباطنة في القلوب، ولا لتحسين تصوّر الآخرين عن الإسلام وهدايته ونوره. إن الآثار السلبية المترتبة على غياب الحوار الهادف كثيرة وخطيرة ، من أبرزها[4]: شيوع الجهل وتغليب لغة الخصومة والعداوة على لغة العقل و الحكمة ، والجهل الذي

---

[4] فتحي بن عبدالله الموصلي . **فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية** . الدار الاثرية (٢١١ ـــ ٢١٢)

يكون سببا في غياب الحوار : إما أن يكون جهلاً بمقاصد الحوار التي هي من مقاصد الشريعة ، وإما أن يكون جهلاً بوسائله وأدواته ، أو يكون جهلاً بأدلته وموضوعاته. ومن آثار هذا الجهل _ الذي أوردنا أسبابه _ التكلم بالباطل وكتمان العلم ، ومعلوم أنه إذا اجتمع التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد منهما بطر الحق وظلم الخلق.[٥]

ومن آثاره ـــ أيضا ـــ إطالة أمد النزاع بين الناس، وترسيخ بواطن الأحقاد بينهم ، وتضييع جهودهم وأوقاتهم في الباطل ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، والتنافس المذموم الذي يجلب الفرقة والاختلاف ، وهذه أمراض عانت وما زالت تعاني منها أمة الإسلام إلى يومنا هذا . إن غياب الحوار داء خطير قد يفتح باباً للتنازع والاقتتال المفضي إلى سفك الدماء وسقوط الدول والحروب بين الأمم . قال أبو حاتم الرازي _ رحمه الله _ : " ألمراء أخوا الشنآن كما أن المناقشة أخت العداوة والمراء قليل نفعه كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب يكون القتال ، ومن القتال إراقة الدم وما مارى أحد أحداً إلا وقد غير المراء قلبيهما " [٦] .بل إن المنازعات العلمية القائمة على التعصب والهوى ، والمهاترات الفكرية العقيمة تؤدي في الغالب إلى الفرقة والتنازع المفضي إلى الضعف والفشل ما قد يمهد للكافر المحارب المتربص أن يصل إلى بغيته وتحقيق أطماعه بالسيطرة على بلاد المسلمين والتحكم في مقدراتها ، يقول الشيخ محمد رشيد رضا _ رحمه الله _ : " اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة و الشيعة والخوارج ، بل بين المنتسبين إلى السنة بعضهم مع بعض : بين الأشاعرة والحنابلة ، بين الحنفية والشافعية

---

[5] ابن القيم شمس الدين أبي عبد الله .٧٥١ه. **الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة** . دار العاصمة (١ / ٣١٥)

[6] ابن حبان . **روضة العقلاء** . دار الكتب العلمية (٧٩)

والحنبلية... إنك إن تقرأ تجد الجواب عما سألتك عنه ، ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم ، تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج يأجوج ومأجوج ويقول : إنهم هم التتار "[7] .فالحوار_ إذا _حاجة ضرورية لا ينفك عنها الإنسان ،ووسيلة مثلى للاتصال مع الآخرين ، وأسلوب مهم من أساليب الدعوة والبيان ، وتقرير الحق ورد الباطل ، وهو البداية لأي بناء وإصلاح ، أو أي هدم وإفساد .غير أن المتأمل في إطلاق مصطلح الحوار_ في وقتنا الحاضر _ يجد أنه أصبح يشوبه شيء من الإجمال والالتباس فمثلا مصطلح الحوار بين الأديان أصبح يستعمل في أغراض ثلاثة [8]:

١ _ في التقريب بين الأديان وفق الأسس الفكرية والمنهجية التي يدعوا إليها أصحاب هذا الاتجاه ، وهو بهذا الاستعمال يعد غطاء لفكرة الوحدة بين الأديان وتذويب الفوارق بينها التي ينادي بها بعض مفكري الغرب ومن تأثر بهم من بعض المفكرين المنتسبين للإسلام .[9]

٢_ ويستعمل في معنى التعايش بين أتباع الأديان ، ويقصد به في هذا الإطلاق أحكام التعامل مع الطرف المخالف في الدين والعقيدة فيما لهم وما عليهم ، وغالبه من باب السياسة الشرعية وتنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين على ضوء الأحكام الشرعية .

---

[7] محمد رشيد رضا. **الوحدة الإسلامية** . المكتب الإسلامي (٩)

[8] أنظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية (١٦١)

[9] أحمد بن عبد الرحمن القاضي . **دعوة التقريب بين الأديان** ، دار ابن الجوزي ، ط١ ،١٤٢٢هـ . (١ / ٣٤٨)

٣_ ويستعمل _ أيضا _ بمعنى الجدل والمناظرة والإقناع ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام فهو وسيلة من وسائل الدعوة والإقناع .

فالأول : باطل وسيلة ومقصداً .

والثاني : محكوم بأحكام وضوابط نصت عليها الشريعة ، وتطبيقاتها في الغالب منوطة بمن له الولاية الشرعية من حكام المسلمين .

والثالث : مداره على مدى قيامه وفق الأسس والضوابط المرعية وتحقيقه للمقاصد الشرعية .

وبما أن الحوار صار لفظاً مجملاً ــ وفق هذه الاستعمالات ــ لذالك أصبح من المتعين على المتحاورين تحديد المراد منه قبل الخوض فيه وهذه قاعدة معلومة من قواعد الشرع ، قائمة على ضرورة الاستفسار وتعيين المراد من الألفاظ عند الإجمال والاشتباه حتى يتم الحكم عليها بوضوح وتوضع في مواضعها الصحيحة . و في هذا المقام يتأكد التنبيه إلى خطورة الشعارات والمصطلحات المضللة التي يروج لها أعداء الإسلام ، ويقدمونها مغلفة بأغلفة الحوار والتسامح ، كشعارات " السلام " و " العالمية "و" الأخوة الإنسانية " وما شابهها ، من الشعارات والمصطلحات المعبرة عن الأهداف المصادمة لثوابت الإسلام ومقاصده الأساسية والتي ليست في حقيقتها إلا دعاوى جوفاء تقف خلفها دوائر الماسونية الكونية ومراكز التبشير والتنصير العالمية .

الفصل الأول

تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح .

أ - مفهوم الحوار في اللغة:

الحوار مأخوذ من المحاورة: وهي المراجعة في الكلام يقال: تحاور الرجلان، أو تحاور المتحدثان بمعنى واحد: أي تبادلا الحديث، فمراجعة بعضنا لبعض في الكلام يسمى حواراً، وفي لسان العرب: ".. يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة" [١٠]. قال القرطبي في قوله تعالى : (فقال لصاحبه وهو يحاوره) (الكهف : ٣٤) : " أي : يراجعه في الكلام ويجاوبه ، والمحاورة : المجاوبة ، والتحاور : التجاوب ، ويقال : كلمته فما أحار إلي جوابا ، وما رجع إلي حوارا ، أي ما رد جوابا " [١١].

ب- الحوار في الاصطلاح:

وأما التعريف الاصطلاحي للحوار فقريب من معناه اللغوي، وقد عُرّف بأنه: "مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة "[١٢]. وعُرّف بأن الحوار: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"[١٣]. وقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه : تراجع الكلام بين طرفين . [١٤]

---

[10] ابن منظور . **لسان العرب** . دار إحياء التراث العربي (٤/ ٢١٧ ـــ ٢١٨) .

[11] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، **تفسير القرطبي** (١٠ / ٤٠٣). الهيئة المصرية للكتاب .ط٢

[12] **في أصول الحوار** . الندوة العالمية للشباب (١٢) .

[13] الحوار وآدابه (٥) .

[14] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم .٧٢٨هـ. **الرد على المنطقيين** . (٣٢٨) . دار المعرفة بيروت.

وقيل : " الحوار :تردد الكلام بين فريقين للوصول إلى الحق " [١٥] ويتبين من هذه التعريفات أن المحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً.وثمة مصطلحات قريبة من الحوار مثل "الجدل" و"المناظرة" و"المحاجة" و"المناقشة" و"المباحثة"، وقد تستخدم بعض هذه المصطلحات مكان الحوار أو في معناه الاصطلاحي وقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهو قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً والمحمود فيه مرادف للحوار أو قريب منه ومن ذلك قوله عز وجل: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل : ١٦) وأيضاً قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة : ١)، وقد فُسرت المجادلة بالمراجعة وهي المحاورة، وبهذا المعنى الجدال صورة من صور الحوار وقد أمر بها الله ورسوله . والمناظرة أيضاً صورة من صور الحوار وهي تفيد النظر والتفكر والبحث عن الحق عبر المحادثة وتبادل الرأي مع الآخرين .

---

[15] أبو زهره محمد . **تاريخ الجدل** . دار الفكر العربي (٥) .

الفصل الثاني

مشروعية الحوار مع المخالفين للحق:

الكلام في مشروعية الحوار معهم يدور حول أمرين مهمين:

الأمر الأول: شرعية أساليبه وطرقه وما اشتمل عليه من العلم والبيان.

الأمر الثاني:سلامة المقاصد وحسن النوايا و إرادة الخير والنصيحة للطرف الآخر والسعي لإقناعه وهدايته وتعليمه.

وقد دلت على مشروعية الحوار أدلة الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف الصالح ومواقفهم ، وورد الحوار ــ بلفظه ومعناه ــ في نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة وأقوال السلف.

ففي القرآن في قوله تعالى : (..فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا)

(الكهف:٣٤) وفي قوله تعالى : (قد سمع الله قول التي تجدلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) (المجادلة:١) . و دلت آيات أخرى من القرآن الكريم على مشروعية الحوار مع غير المسلمين، واعتباره وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، ومن ذلك [١٦]: قوله تعالى: { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } (آل عمران: ٦٤). وهذه دعوة إلى توحيد الله وحده لا شريك له وإفراده سبحانه بالعبادة .وقال تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن

---

[16] أنظر : د.سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي.**الأحكام والضوابط العقدية المتعلقة بالحوار مع غير المسلمين** (٥ ــــ ٦)

سبيله وهو أعلم بالمهتدين } . (النحل: ١٢٥) أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب [١٧].

وقال تعالى: { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون } (العنكبوت: ٤٦) .وقد ذكر الله -عز وجل- في كتابه الكريم نماذج من حوار الأنبياء لأقوامهم، كما قال تعالى في جدال نوح لقومه: { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من المصدقين } (هود: ٣٢). وقد جادلهم وحاورهم قروناً طويلة، من غير كلل ولا ملل، في الليل والنهار، والسر والعلن. وعلى هذا الهدي سار أنبياء الله من بعد نوح، فقص الله علينا في القرآن حوار إبراهيم لأبيه وقومه والنمرود مدعي الربوبية، وحوار موسى مع فرعون، والكثير من حوار وجدال الأنبياء مع أقوامهم. ولهذا كان الجدال عن الحق هو: (حرفةُ الأنبياء) كما يقول الفخر الرازي رحمه الله [١٨]. والنبي صلى الله عليه وسلم وهو المبين للقران كان حواره مع أهل الكتاب هو التطبيق العملي للحوار في القرآن وهو في هذا ماضٍ على سنة الأنبياء قبله.

وقد ورد الحوار في السنة القولية والعملية تارة بلفظ الجدل وتارة بلفظ الخصومة وهي ألفاظ قريبة المعنى وبينهما عموم وخصوص. وقد وردت عنه -صلى الله عليه وسلم- عدة أحاديث تدل على مشروعية الحوار، منها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون

---

[17] انظر: **تفسير القرآن العظيم لابن كثير** (٧٨/٢)

[18] فخر الدين الرازي . **التفسير الكبير** ، مكتبة دار السلام ، الطبعة الأولى ،١٤١٤ه.(٢٩/٧)

بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[١٩] . وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) [٢٠] قال ابن حزم: (وهذا حديث غاية في الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله) [٢١]. ومحاورات ومناظرات السلف مع المخالفين لا تحصى وهي تعكس حرص أهل القرون الخيرية على نشر العلم وتعميق الاتصال مع الآخرين على أسس صحيحة ومقاصد شرعية واضحة. وعلى مدى تاريخ أمتنا الطويل والعريق حاور علماء الإسلام كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والهدي النبوي. بل اعتبر العلماء المجادلة والمناظرة والحوار من واجبات الإسلام التي أوجبها الله على أهل العلم والبصيرة، واستدلوا بما سبق ذكره من نصوص قرآنية تحدثت عن أمر الله لأنبيائه بالحوار أو فعلهم عليهم الصلاة والسلام.قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله تعالى: { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين } (هود: ٣٢) وقوله:{وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } (الأنعام: ٨٣)، وقوله: { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه } (البقرة: ٢٥٨) وقوله: { وجادلهم بالتي هي أحسن } (النحل: ١٢٥

---

[19] رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان: (١/٧٠)

[20] الحديث. رواه أبو داود في سننه حديث رقم (٢٥٠٤)، وأحمد في المسند حديث : (١١٨٣٧)، والنسائي في سننه حديث : (٣٠٩٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٨٦)

[21] الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي، **الإحكام في أصول الأحكام** ، دار الكتب العلمية ،بيروت،١٤٠٠ (١/٢٩).

) وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع " [٢٢].وقال: "..والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قُدرهم وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم" [٢٣]. وقال: " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرةً تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقَّه ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين " [٢٤].

وذكر ابن القيم رحمه الله من فقه محاورة النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نجران: " جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة " [٢٥].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله – في فوائد قصة أهل نجران: " وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته " [٢٦].

---

[22] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم.٧٢٨ه . **درء تعارض العقل والنقل** . (١٥٦/٧). دار الكنوز الأدبية . الرياض .١٣٩١ه

[23] درء تعارض العقل والنقل (٥١/١-٥٢).

[24] **درء التعارض** (٣٥٧/١) ، و**مجموع الفتاوى** ، جمع:عبد الرحمن القاسم وولده محمد ، طبعة الملك فهد (١٦٤/٢٠-١٦٥).

[25] ابن القيم شمس الدين أبي عبد الله،٧٥١ه . **زاد المعاد** . مؤسسة الرسالة . ط١٤٠٨،١٦(٦٣٩/٣).

[26] العسقلاني أحمد بن حجر .٨٥٢ه . **فتح الباري** . الطبعة السلفية الأولى (٩٥/٨).

الفصل الثالث

أهمية الحوار مع المخالفين للحق .

تبرز أهمية الحوار في كونه وسيلة قوية من وسائل التعريف بالإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، قال تعالى: {ومن يبتَغ غير الإِسلامِ ديناً فَلَن يقبلَ منه وهو في الآخرة من اْلخَاسرِين } [آل عمران: ٨٥]، ومن الواجب على المحاور المسلم أن يدعو غير المسلم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا شك أن هذا الأمر سينشئ نوعا من الحوار، لأن كل منتم إلى دين أو مذهب سيحاول الدفاع عن معتقده ومذهبه بالأدلة والحجج التي يرى أنها هي الحق ، كما أنه ــــ في الغالب ــــ لا أحد يتخلى عن دينه ويدخل دينا آخر إلا إذا حصل له ما يقنعه بفساد ما هو عليه من الباطل وأزيل ما في نفسه من شبه وتساؤلات .

ومن خلال الحوار يتمكن المحاور المسلم من تبيان مبادئ الإسلام وفضائله ويوضح لمحاوريه ما أعده الله للمؤمنين به من عظيم الأجر وحسن المثوبة، وما توعد به الكافرين من أليم عذابه وعقابه.

والحوار يعد من ابرز وسائل الاتصال مع المخالفين للحق ــــ من مسالمين ومحاربين ــــ التي تمس الحاجة إليها في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى ، نظرا للشبه المتنوعة والتهم الكثيرة التي ألصقت بالإسلام زورا وبهتانا وهو منها براء. فيتأكد الحوار معهم لتصحيح هذه الصور المشوهة التي ارتبطت بالإسلام في أذهان الكثير من غير المسلمين.

وأيضا فالحوار مع غير المسلمين وسيلة فعالة لرفع معنويات المسلمين في البلاد الإسلامية التي يكثر فيها النصارى والبلاد التي تواجه الحملات التنصيرية.

وهو كذلك وسيلة لدعم موقف الأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية، في المطالبة بحقوقها [٢٧].

كما إنه وسيلة للتفاهم والتعايش السلمي المشترك في البلدان التي يعيش فيها المسلمون مع غيرهم، لمنع حدوث الاضطرابات والنزاعات الدينية مع مخالفيهم . وإيجاد مساحة من التفاهم والتعايش بينهم بسلام.

وفي الحوار دعوة لأهل الكتاب إلى بيان أصل دينهم غير المحرف وتوضيح معتقدهم الصحيح كما ورد في القرآن الكريم الذي هو وحي من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبيان ما طرأ علي دينهم من تحريف وتبديل ونسخ. قال تعالى: {قُلْ يا أَهلَ ٱلْكتَابِ تَعالَوْا إِلَى كلَمة سواء بيننَا وبينَكُم أَلاَّ نَعبد إِلاَّ اللّه ولاَ نُشرِك بِه شَيئًا ولاَ يتَّخذَ بعضنَا بعضاً أَربابا من دونِ اللّه فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } (آل عمران: ٦٤)

---

[27] بسام داود عجك . **الحوار الإسلامي المسيحي** . دار قتيبة (٤٦٣)

الفصل الرابع

أنواع الحوار وأحكامه وأصناف المحاوِرِين:

المتأمل في نصوص الكتاب والسنة وأقوال الأئمة التي جاءت في بيان مشروعية محاورة الكافرين والضالين يجد أنها لا تستثنى أحداً منهم من أصل الحوار والجدال سوا كانوا من أهل الذمة أو أهل الهدنة والأمان أو أهل الحرب لرد بغيهم وعدوانهم أو غيرهم من أهل الهوى والابتداع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمجادلة قد تكون مع أهل الذمة؛ والهدنة؛ والأمان؛ ومن لا يجوز قتاله بالسيف؛ وقد تكون في ابتداء الدعوة؛ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجاهد الكفار بالقرآن؛ وقد تكون لبيان الحق وشفاء القلوب من الشبه مع من يطلب الاستهداء والبيان "[٢٨] .

والمتتبع لكلام أهل العلم في تقسيم الحوار والكلام على أنواعه يرى تباينا وتنوعا في أقوالهم وأرائهم في أنواعه وأقسامه، لذا أشير هنا إلى اتجاهين من اتجاهاتهم في التقسيم[٢٩]:

الأول:تقسيم الحوار بالنظر إلى جوازه وإباحته، وهذا التقسيم ينظر فيه إلى شرعية وسائل الحوار ومقاصده، والطريقة التي يتم بها الحوار وهي نوعان :

١- حوار محمود .

٢- حوار مذموم.

وغالب من يقسم هذا التقسيم ينظر إلى الحوار على أنه من باب الجدل والمناظرة....

---

[28] ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم.٧٢٨ه . **النبوات** .تحقيق :محمد عبد الرحمن عوض ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ .١٤١١ه ـ (٢ / ٦٢١ ــــــــ ٦٢٢)

[29] أنظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية (١٣ ـــ ١٥)

قال النووي ــ رحمه الله ــ " واعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) (العنكبوت : ٤٦) وقال تعالى : (وجادلوهم بالتي هي أحسن) (النحل : ١٢٥) وقال تعالى : (ما يجادل في ءايات الله إلا الذين كفروا) (غافر :٤) فإذا كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وإن كان مدافعة الحق أو كان جدال بغير علم كان مذموماً. وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه" .[٣٠]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ " والمقصود : أنهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة ، أو فيها مفسدة راجحة ، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال.

وأما جنس المناظرة بالحق ، فقد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى. وفي الجملة ، جنس المناظرة والمجادلة فيها: محمود ومذموم ، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل " .[٣١]

الثاني : تقسيم الحوار باعتبار أنه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، لذا يقسم الحوار إلى ثلاثة أنواع:

١- الحوار التعليمي :ومقصود هذا الحوار تعليم الطرف الآخر وغالبه يكون بطريق السؤال والجواب.

٢- الحوار الوعظي:وهو أسلوب من أساليب الوعظ والتذكير ويكون متضمنا للترهيب والترغيب.

---

[30] يحيى بن شرف الدين النووي. ٦٧٦هـ .**الأذكار** المنتخبة من كلام سيد الأبرار (٣٣٠). مكتبة المؤيد .ط١. ١٤٠٨هـ

[31] درء تعارض العقل والنقل (٧ /١٧٤)

٣- الحوار الجدلي:وهو أسلوب لرد حجج الخصوم، ودفع شبهات وأباطيل الطرف الآخر.وتجري على هذا النوع قوانين الجدل والمناظرة.

وهذه الطريقة في التقسيم دل عليها القرآن الكريم كما في قول الله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجدلهم بالتي هي أحسن) [النحل : ١٢٥].

فالآية قد بينت أساليب الدعوة إلى الله تعالى، بالحكمة ، والموعظة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، بل هي الأصل في باب وسائل الدعوة وطرقها ، والحوار وسيلة من هذه الوسائل فلا بد أن يحكم بما قررته الآية من المعاني الجامعة والمقاصد النافعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في تفسير هذه الآية: ".. بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة ، فيبين لها الحق علماً وعملاً فتقبله وتعمل به.

وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه، فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل.

والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب، كما قال تعالى: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) (النساء : ٦٦) وقال تعالى : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا) (النور : ١٧)

الفصل الخامس

أصول الحوار مع المخالفين وقواعده .

من الضروري في عالم أصبح ـــ اليوم ـــ يموج بالكثير من النظريات الباطلة والاتجاهات والمذاهب المنحرفة، أن يلم المسلم –وخاصة الداعية إلى الله– بأصول الحوار مع المخالفين وقواعده وأن يفقه مقاصده وغاياته،فقد أصبح الحوار في هذا الباب فنًّا يدرس –أحيانًا– باسم: فن الجدل، وأحيانًا يسمى : فن المناظرة ، ولا ريب في أن قياس قوة الحوار مع المخالف وتماسكه ونجاحه يكون على قدر توثيق أسسه وتطبيق أصوله وفهم أهدافه وتحقق مقاصده ، والمحاور البصير هو من تكون همته متجهة نحو تصحيح الأساس وإحكامه واستيفاء شروطه ومراعاة حدوده ،وغير البصير يرفع في البناء وينشط في النقاش من غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط ويزول ، كما قال تعالى :(أفمن أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفى جرفُ هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين)(التوبة :١٠٩)

ولأجل هذا فأن على المتحاورين أن يؤصلوا حوارهم ، بحيث يتفقون على أسسه ومقدماته وأصوله وطريقته وموضوعه وحدوده ، فيكون هذا الاتفاق مدخلاً لضبط الحوار، وتذكيرًا بأسسه وقواعده ، وإلا فالبدء بالمحاورة من دون التفاهم على أسسها ذريعة إلى التشتت والتفرق ، بل إلى فشل المحاورة ووئد نتائجها ، فالتأصيل قبل التفريع والتفصيل هو مسلك علمي دقيق لازمه أكثر العلماء في سائر فنون العلم.

قال أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد_ رحمه الله_: " إن من حق البحث والنظر الإضراب عن الكلام في فروع لم تحكم أصولها، والتماس ثمرة لم تغرس شجرها، وطلب نتيجة لم تعرف مقدماتها ".[32]

فتذكير أطراف الحوار بأصول الحور وقواعده كالدليل على المدعي ، وما هو الدليل ، وتحديد موضوع المحاورة قبل الشروع فيها_شرط مهم لنجاح الحوار .[33]

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: " ينبغي لمن ناظر غيره أن يؤسس الأسس التي يتفق عليها المتناظران، ثم إذا حصل الاتفاق وتم الالتئام، انتقل منه إلى المواضع المختلفة فيها بلطف ولين وهدوء ".[34]

هذا وللحوار مع المخالفين للحق أصول وقواعد كثيرة نعرض لأبرزها فيما يأتي :

- **تمييز الحق عن غيره بحيث يكون الحق المعتبر هو نفس ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .**

أي: تمييز الشرع المنزَّل ،عن الشرع المحرَّف، فلا يصح مقابلة الباطل بباطل آخر ، ولا مقابلة البدعة ببدعة أخرى.

ولمَّا كان الحوار الممدوح أسلوباً من أساليب حراسة الإسلام ومبادئه ، كان لابد أن يكون المحروس هو نفس ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أخبر به أمته، فأما إذا كان المحروس فيه ما يوافق خبر الرسول وفيه ما يخالفه ، كان تميزه قبل حراسته أولى من الذب عما يناقض خبر الرسول صلى الله عليه وسلم فإن حاجة المؤمنين إلى معرفة ما قاله الرسول وأخبرهم

---

[32] ابن عبدالبر . **جامع بيان العلم وفضله** . دار الكتب الإسلامية (١ /٧٨٥)

[33] محمد كمال الطويل . **الحوار في القرآن الكريم** . دار الفارابي (٢٥)

[34] عبدالرحمن بن ناصر السعدي . **مجموع الفوائد واقتناص الأوابد** . دار ابن الجوزي (٢٥٥)

به ليصدقوا به ، ويكذبوا بنقيضه ويعتقدوا موجبه ، أولى من حاجتهم إلى الذب عن ذلك الأمر المشتبه فيه الحق بالباطل ، والرد على من يخالفه .[٣٥] وأيضا فما يجري على الكلام نفسه من أحكام فإنه لابد أن يجري على مقدماته فلا يكفي أن يكون الكلام حقا في نفسه بل يجب أن تكون مقدماته صادقة معلومة والتحاور فيه لا يورث شبها وعداوة تكون مفاسدها راجحة على مصالحها .

- **الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة وأصول يرجع إليها .**

أقر الإسلام مبدأ الحوار مع الموافقين والمخالفين من المسلمين وغير المسلمين، وجعل لهذا الحوار أسسا يبنى عليها وشروطا وضوابط وحدودا ينتهي إليها. ومن ذلك عدم التنازل عن الثوابت الشرعية والأصول القطعية والمسلمات العقلية التي يقر بها عموم العقلاء ، إذ لا مساومة في الحوار على ثوابت الدين وأصول المعتقد وبديهيات العقول

هذه المُسَلَّمات والثوابت قد يكون مرجعها ؛ أنها عقلية بحتة لا تقبل النقاش عند العقلاء المتجردين ؛ كحُسْنِ الصدق ، وقُبحِ الكذب ، وشُكر المُحسن ، ومعاقبة المُذنب . أو تكون مُسَلَّمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك .

وبالوقوف عند الثوابت والمُسَلَّمات ، والانطلاق منها يتحدد مُريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجدل والسفسطة . ومن الأصول والضوابط القرآنية للحوار أن لا يكون موضوع الحوار قضايا ثابتة في الدين بهدف إعادة النظر فيها. فالحوار ليس من قبيل الترف الفكري وحب الاستطلاع حتى يخوض المتحاورون في كل شيء، فثمة قضايا ومسائل لا يجوز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها، أو بسبب عدم ترتب أي

---

[35] درء تعارض العقل النقل (٧/ ١٨٢)

ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساساً بنص شرعي أو إجماع .

ومن القضايا التي ليست محلاً للحوار والجدال فيها البحث في ذات الله تعالى، فهذا منهي عنه شرعاً لأن ذلك من باب القول فيها بلا علم، والعلم شرط أساس من شروط الحوار. قال تعالى: { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (الإسراء : ٣٦).

ومن الأمور التي لا تدخل في دائرة الحوار مع المخالف المسائل التي حكم الله تعالى ورسوله فيها بنص محكم جلي أو أجمع عليها علماء الإسلام، وبالجملة كل ما يحرم الحديث فيه شرعاً من الأحكام والثوابت الدينية لا يجوز الحوار والجدال في شأنها، لأجل إعادة النظر فيها أو تقويمها أو تغييرها . ومما ينبني على هذا الأصل ؛ أن الإصرار على إنكار المُسلَّمات والثوابت مكابرة قبيحة ، ومجاراة منحرفة عن أصول الحوار والمناظرة ، وليس ذلك شأن طالبي الحق بل هي عادة المخادعين والمغالطين

- **إقامة الحوار على مبادئ الصدق والعدل ، والبعد عن التعصب ، والالتزام بآداب الحوار .**

الحوار المقبول شرعا والمرضي عرفا هو ما كان أساسه الصدق وعماده العدل ، الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام ، والاجتهاد في قبول الحق ممن جاء به كائن من كان ونبذ التعصب . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد ، والإنسان لو أنه يناظر المشركين ، وأهل الكتاب لكان عليه أن يذكر من الحجة ما يبين به الحق الذي معه ، والباطل الذي معهم"[٣٦] ويقول _ أيضاً _ : " فالكذب على الشخص

---

[36] مجموع الفتاوى ، (٤ / ١٨٦) .

حرامٌ كله سواء كان الرجل مسلماً أو كافرا "[٣٧]. وقال في موضوع آخر: " والظلم محرم في كل حال ، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافرا" .[٣٨]
وهنا قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهي : أن الحق يعرف بأدلته وشواهده لا بقائله أو ناقله ، فالمحاور اللبيب هو الذي يدور مع الحقائق ويؤصل لها ويدعوا إليها . قال معاذ بن جبل _ رضي الله عنه _ :" اقبلوا الحق من كل من جاء به ، وإن كان كافراً ، أو فاجراً ، واحذروا زيغة الحكيم " . قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ؟ قال : " إن على الحق نورا " [٣٩].
وقال ابن تيمية _ رحمه الله _ : " والله أمرنا ألا نقول إلا الحق ، وألا نقول عليه إلا بعلم ، وأمرنا بالعدل والقسط ، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني _ فضلاً عن الرافضي _ قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله ، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق " [٤٠]. وقال ابن القيم _ رحمه الله _ : " اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً ، ورد الباطل على من قاله ولو كان حبيباً"[٤١] .

إن إتباع الحق ، والسعي للوصول إليه ، والحرص على الالتزام به ؛ هو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، أو مراعاة لهوى الجمهور ، أو الأتْباع .. والعاقل – فضلاً عن المسلم – الصادق طالب حقٍّ ، باحثٌ عن الحقيقة ، ينشد الصواب ويتجنب الخطأ .

---

[37] المصدر السابق (٢٨ / ٢٢٣) .

[38] المصدر السابق (١٩ /٤٤٠) .

[39] رواه أبو داوود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي

[40] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم . **منهاج السنة** . محمد رشاد سالم .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .الرياض. ط١. ١٤٠٦هـ (٢ / ٣٤٢)

[41] ابن القيم شمس الدين أبي عبد الله.٧٥١ه . **مدارج السالكين**.تحقيق : محمد حامد الفيقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة (٢ / ٣٩)

يقول أبو حامد الغزاليّ : " التعاون على طلب الحق من الدّين ، ولكن له شروط وعلامات ؛ منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد معاونه . ويرى رفيقه معيناً لا خصماً . ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهره له " [٤٢].

ومن مقولات الإمام الشافعي المحفوظة : " ما كلمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يُوفّق ويُسدّد ويُعان ، وتكون عليه رعاية الله وحفظه ، وما ناظرني فباليْتُ ! أَظَهَرَتِ الحجّةُ على لسانه أو لساني " .

وفي ذمّ التعصب ولو كان للحق ، يقول الغزالي :

" إن التعصّب من آفات علماء السوء ، فإنهم يُبالغون في التعصّب للحقّ ، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نُصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه . ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة ، لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لمّا كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتْباع مثلُ التعصّب واللعن ، والتّهم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم "[٤٣].

والمقصود من كل ذلك أن يكون الحوار بريئاً من التعصّب خالصاً لطلب الحق ، خالياً من العنف والانفعال ، بعيداً عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانيّة ، مما يفسد القلوب ، ويهيج النفوس، ويُولد النَّفرة ، ويُوغر الصدور ، وينتهي إلى القطيعة .

فالحوار العلمي المنهجي يؤسس على مقدمات صادقة ، ونقول صحيحة وأسانيد ثابتة ، ومعلومات موثقة ، وحقائق ثابتة ، وإلا فإن النتائج لا تسلم .

---

[42] أبي حامد محمد بن محمد الغزالي . ٥٠٥هـ. **إحياء علوم الدين** (١ / ١٠٠). تحقيق:سيد إبراهيم . دار الحديث .القاهرة .١٤١٤هـ

[43] إحياء علوم الدين (١ / ١١٠) .

ومما يجب على المحاور المسلم عندما يحاور غيره أو يرد عليه بأية وسيلة أن يحذر من الكذب أو التجّني عليه، وتقويله ما لم يقله. ودليل هذا المبدأ قوله تعالى: {يا أَيها الَّذين آمنُوا كُونُوا قوامين لِلَّه شُهداء بِالْقسط ولا يجرِمنَّكُم شَنَآن قَومٍ علَى أَلاَّ تَعدلُوا اعدلُوا هو أَقْرب لِلتَّقوى } [المائدة: ٨]

قال ابن جرير –رحمه الله– في تفسيرها: " لا يحملنكم عداوة قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم، وسيرتكم بينهم؛ فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة " [44] .

والمسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يطلبها ويقضي بها بلا غضاضة، من أي طريق جاءت، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة عن الشيطان مصدر الشرور والآثام: " صدقك، وهو كذوب، ذاك شيطان" [45].

وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأقروا لمخالفيهم ما عندهم من الحق وبينوه وأعلنوه، ومن ذالك ما قاله المستورد القرشي ـــ رضي الله عنه ـــ وهو عند عمرو بن العاص ـــ رضي الله عنه ـــ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " تقوم الساعة والروم أكثر الناس" . فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلَم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فره ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك[46].

---

[44] أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ : (٦ / ٩١)

[45] رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق / باب صفة إبليس ح: (٣٢٧٥)

[46] رواه مسلم في صحيحه ، كتاب أشراط الساعة .ح (٢٨٩٨)

وكذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي بما فيه من خلال الخير، وهو يومئذ على الكفر، فقال لأصحابه: (إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً) [٤٧] .

وفي درس بليغ آخر يقبل النبي صلى الله عليه وسلم من يهودي نصيحته، ففي حديث ترويه قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون؟ قال: " سبحان الله! وما ذاك؟ " قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ثم قال: " إنه قد قال ـــ أي حقاً ـــ فمن حلف فليحلف برب الكعبة " [٤٨].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: " اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً – أو قال فاجراً – واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً " [٤٩]. ولابد من إعادة التأكيد على أن رفض المسلم للأديان والمذاهب المخالفة للإسلام وبراءته منها ومن أهلها، لا يعني أن يظلم الناس أو يعتدي عليهم، بل إننا مأمورون بالبر والقسط مع كل من لا يحارب الإسلام والمسلمين. ثم إن العادل المنصف عندما يوازن بين ما جاء به الإسلام من بر وعدل وإحسان وسماحة مع المسلمين وغير المسلمين، وما عليه أصحاب الديانات المحرفة والمذاهب الباطلة، في مواقفهم نحو مخالفيهم، يجزم بأنه لا يوجد دين أو مذهب يعامل مخالفيه بالعدل والرحمة والبر والإحسان والسماحة كما يوجد في الإسلام باعتراف أعدائه قبل أصدقائه .

---

[47] انظر فتح الباري : (٧ / ١٨٨) .

[48] رواه أحمد في المسند . ح (٢٦٥٣٣)

[49] رواه أبو داود في سننه . ح (٤٦١١)، والبيهقي في سننه . (١٠ / ٢١٠)

البدء بنقاط الاتفاق والحرص على المشتركات .

من أصول الحوار مع المخالفين كما وردت في القرآن الكريم أن يبدأ المحاور المسلم حواره مع المخالفين من غير المسلمين _لاسيما أهل الكتاب منهم_ من النقاط المشتركة التي عبر عنها القرآن بـ " كلمة سواء ". قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} (آل عمران : ٦٤) ولاشك أن تحديد النقاط المشتركة بين المتحاورين منذ البداية والبدء بها يساعد على تشخيص نقاط الخلاف وتحرير محل النزاع ومن ثم محاولة معالجتها بروية وتدرج.

كما أن العناية بالمشتركات يسهم في تقليل الفجوة بين طرفي الحوار أو أطرافه وتزيد من فرص التلاقي ودرك كل طرف لما لدى الطرف الآخر.

كما أن من شأن البدء بالنقاط المشتركة إزالة سوء التفاهم بين الطرفين أو الأطراف حول بعض النقاط التي لا توجد عليها خلاف في الأصل ولكن نظراً لعدم تحديد موقف كل طرف منها منذ البداية تعرقل سير الحوار وتمنع وضوح الروية وتؤثر على قضايا أخرى في الحوار.

كما أنه لا يمكن إغفال التأثير الإيجابي للانطلاق من النقاط المشتركة على نفسيات المتحاورين والهدوء الذهني والفكري الذي يتمتعون به إذا ما بدئوا حوارهم في جو من الهدوء بدلاً من أجواء يسودها التوتر والنفسي والذهني منذ البداية..

والحال ينعكس لو استفتح المُتحاورون حوارهم بنقاط الخلاف وموارد النزاع ، فإن ذلك سيجعل ميدان الحوار ضيقاً وأمده قصيراً ، ومن ثم يقود إلى تغير القلوب وتشويش الخواطر ، ويحمل كل طرف على التحفُّز في الرد على صاحبه مُتتبِّعاً لثغراته وزَلاته ، ثم ينبري لإبرازها وتضخيمها ، ومن ثم يتنافسون في الغلبة أكثر مما يتنافسون في تحقيق الهدف من الحوار . والبصير بحقائق الشرع هو الذي يوصل الخلق إلى المقصود بأيسر الطرق ،

وأقربها و أفضلها ، و أقلّها تعقيداً وضرراً ، ومن ذلك أن يحاورهم من نقطة اتّفاق لا من نقطة افتراق ، فأطراف الحوار مهما اختلفت وتباينت أفكارها لا بد من وجود مواضع اشتراك بينهما سواء في الاعتقادات ، أو في العبادات ، أو في التصورات والأفكار ، أو ربما في العادات والموفق من اجتهد في الكشف عن تلك المواضع للدخول منها إلى مواضع الاختلاف والتباين . وهذا المسلك من التحاور يدل على رغبة أطراف الحوار بتنمية الخير ، والحرص على أهله ، " فليس النقض والهدم سبيلاً إلى النفوس ، إنه لون من الصد عن سبيل الله لا ينبغي أن يقع فيه المسلم المحاور ، وكل إنسان _ ولو كان كافراً لا يعدم نقطة خير في قلبه يبدأ بها المسلم فيدخل إليها ، أو يدخل منها ثم ينميها ،و ييسر بها هدفه الذي يريد "[٥٠] إن البدء مع الطرف الآخر من نقطة الإثارة أو تتبع مواضع الاستفزاز ، وإهمال جانب الترغيب في الحق ، مسلك بغيض يدل على ضعف الهمة فالبدء من نقطة التقاء يكون بقصد تقريب الطرف الآخر إلى الحق وترغيبه فيه لا تذويب الحق وتمعييه ، وهذا يحتاج من المحاور أن يعلم مراتب الحق وأولوياته والتدرج في عرضه .

- **حمل كلام المحاور على أحسن المحامل وجريانه على ظاهره هو الأصل حتى يثبت العكس** . الحوار عملية مشتركة بين طرفين أو أكثر ، ومدارها يقوم على أساس أن كل طرف يحرص على استقصاء المعاني والحقائق الظاهرة في خطابه، ولذالك فلا حاجة للدخول في النيات والتكلف في التأويل ، ما دام أن الأصل في هذا الباب حمل كلام المخالف على ظاهر.

---

[50] أدب الحوار والمناظرة ، للدكتور علي جريشة ، (٨٠)

وتقييم أطراف الحوار بمجرد إدعاء الحكم على الباطن دون مسوغ أو دون النظر في الأقوال والأدلة والمقدمات ، مسلك بغيض يكشف عن عجز وقصور ، وفساد في المنهج والتصور لدى المحاور

وهذا المسلك الشنيع المصادم لمقاصد الشريعة اعتمده المشركون في الطعن بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى(وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) (ص: ٦) قال الشيخ السعدي : " أي : له قصد ونية غير صالحة في ذلك ،وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء ، فإن من دعا إلى قول الحق أو غير حق ،لا يرد قوله بالقدح في نيته ، فنيته وعمله له ، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين "[٥١]

وهنا لابد من التنبه لمسألتين في هذا الموضوع وهما :

الأولى : أن الأصل في معاملة المحاور إنما يكون بما يظهر من كلامه ، وهذا يكون فيمن ظاهره السلامة أو خفيت حاله ،أما من علم من حاله بالأدلة القاطعة والقرائن الواضحة أنه يبطن خلاف ما يظهر فإن المحاور له في هذه الحالة لابد أن يعامله وفق ما تيقنه من حاله لا ما ظهر من مقاله وهذا المنهج هو المعول عليه في الحوار مع أصحاب البدع المغلظة كالرافضة والباطنية وغلاة الصوفية والزنادقة وغيرهم الذين يستحلون الكذب ويبطنون خلاف ما يظهرون .

الثانية : أن إرادة الخير وحسن القصد لا يمنعان من بيان خطأ المخطئ أو تعدي المتعدي ، فإن مقصود الحوار تمييز الخطأ من الصواب في الأقوال

---

[51] الشيخ عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم المنان**، مركز صالح بن صالح الثقافي، السعودية ط٢ (٦ /٤٠٨ _ ٤٠٩)

والأفعال وعرضها على ميزان الشرع بالعلم والعدل ، أما الكلام في النيات والمقاصد فمجال بحثها في باب الأحكام والقضاء لا في باب الحوار .

- **تقديم الأصول ، والبدء بالأهم ، والتدرج في عرض الموضوعات، ومراعاة حال المخاطب.**

من الأصول المهمة المحققة لمقاصد الحوار عند أهل الحق أن يتدرج المحاور في عرض مسائل الحوار وموضوعاته وفقًا لقاعدة التدرج الشرعي مراعيًا حال المخالف للحق ، إذ مقصود الحوار : تقريب المعاني له وليس تعقيدها ، وتيسير الحال عليه وليس تعسيره ، والترغيب في الحق وليس التنفير عنه ،والنصوص الشرعية أكدت منذ أول البعثة على أهمية التدرج في الدعوة على وفق الأحوال والأزمان ، لهذا قالت عائشة-رضي الله عنها - في التدرج في نزول القران : " إنما نزل أول ما نزل منه سور من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا .. " [٥٢] ولما بعث النبي معاذاً إلى اليمن ذكره بهذا الأصل العظيم ، فقال " إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك و كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". قال الحافظ ابن حجر _ رحمه الله _ : " بدأ

---

[52] أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب فضائل القرآن (٦ / ١٠٠)

بالأهم فالأهم ، وذلك من التلطف في الخطاب ، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة " [٥٣] .

فلكي يكون الحوار جدياً ومنتجاً ينبغي أن يبدأ المتحاورون من أهم الموضوعات ثم التدرج في الحوار على هذا النسق. ولاشك أن إتباع هذا الأسلوب سيجنب المتحاورين ضياع الوقت والجهد كما يساعدهم على معالجة القضايا الكلية التي تتحكم في الفرعيات والتفاصيل الجزئية.

---

[53] فتح الباري ،(ج٤ ، ص٥٧٦.)

الفصل السادس

مقاصد الحوار مع المخالفين للحق عند أهل السنة والجماعة .

تمهيد:

سبق وأن بينت في المقدمة أن مقاصد الحوار مع المخالفين للحق من الأهمية بمكان في مذهب أهل الحق لأن عليها المعول في الحكم بمشروعية الحوار من عدمها وفي الإقدام على الحوار أو الإحجام عنه ، فالأمور إنما تقاس بمقاصدها مشروعية واعتبارا ؛ والحوار مع المخالفين يكتسب مشروعيته واعتباره من صحة مقاصده ومشروعيتها ، وقد مر معنا أيضا أن مقاصد الحوار تتعدد وأن وسائله تتنوع لتعدد مقاصده ولما كانت المقاصد متعددة والوسائل متنوعة فمن البديهي أن لا تكون مواقف الحوار على وتيرة واحدة ولا أسلوب واحد تبعا لهذا التعدد والتنوع فمنها ما يكون المقصود منه تأليف المخالف وتقريبه من الحق والتنزل معه في الخطاب وخفض الجناح له كي يقبل الحق ويقتنع به ولا يكابر أو يعاند .ومن المواقف ما يكون مقصود الحوار فيه إفحام المخالف المعاند للحق وكسر شوكته والتخفيف من سطوته على أهل الحق وإضعافه وكف شره وأذاه وبيان فساد معتقده وكشف مخططاته وشبهاته .ومن المواقف ما يكون المقصود منه إظهار القوة والغلبة لدين الله وأولياءه ، ومنها ما يكون المقصود منه بيان محاسن الإسلام وسماحته وسمو تشريعاته والرد على شانئيه والمشككين في أحكامه.ولا شك أن خطاب المحاور المسلم وتعامله مع المخالفين في هذه المواقف سوف يختلف ويتفاوت من اللين إلى الشدة ومن الإقناع إلى الإفحام ومن الترغيب إلى الترهيب .واختلاف هذه المواقف تبعاً لتعدد المقاصد ليست تناقضاً ولا هي بدوافع الهوى والتشهي وإنما هي مواقف شرعية محكومة بالدليل توضع الأمور فيها في نصابها الصحيح وتوقع فيها الأحكام على ما يناسبها من التصرفات

والأشخاص وفق مواضعها التي أرادها الله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم ومضى عليها سلف الأمة وأئمتها المهديين .

أبرز مقاصد الحوار مع المخالفين للحق .

الحوار وسيلة دعوية وأسلوب علمي يتم من خلاله تقرير الحق ودفع الباطل فمقاصده الكبار تدور على الوقاية والهداية معا ومن مقاصده إقامة الحجة وتحصيل التقوى قال تعالى : (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) (الأعراف : ١٦٤) وإذا كان مقصود الحوار الأعظم يدور على بيان الحق وهداية الخلق وكشف الباطل ورده بالعدل ، فثمة مقاصد تندرج تحت هذا المقصود الأسمى نذكر أبرزها فيما يأتي :

- **الدعوة إلى عبادة الله وحده وأن يكون الدين كله لله .**

مما يجب أن يُعلم : أن دعوة الكفار بعامة ، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين ، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، ولكن لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن ، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام ، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ، ودخولهم فيه ،أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة ، قال الله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) (آل عمران : ٦٤) ، أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم ، وتحقيق أهدافهم ، ونقض عرى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون قال تعالى : (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) (المائدة : ٤٩) . وهذه الآية ـــ أعني قوله تعالى ـــ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا

نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . (آل عمران:٦٤) . تدل دلالة واضحة على دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، دعوة صريحة تفرق بين الحق والباطل، فإن قبلوا فهم مسلمون وإن رفضوا فقد أقمنا عليهم الحجة بأنا مسلمون وهم كافرون. لكن البعض من أصحاب الأهواء يضعون هذه الآية الكريمة في غير موضعها، ويستدلون بها على غير وجهها ، يحرفون الكلم عن مواضعه التي أرادها الله، فيقولون إن الآية دعوة لما يسمونه بحوار الأديان. يقولون إن معنى كلمة (سواء) أي مستوية بيننا وبينهم فلا ننكر عليهم دينهم ولا ينكرون علينا ديننا، فالأديان كلها دين الله وهي سواء، وأننا مأمورون بمحاورتهم لنسمع منهم ويسمعوا منا دون أن نحسم الأمر ونبين الحق من الباطل، ودون أن نبين أن الإسلام هو الحق وأن الأديان غيره الموجودة حالياً باطلة بطلاناً تاماً وهي كفر صاحبها مخلد في النار. والحقُّ إنَّ كلمة (سواء) المذكورة في الآية الكريمة تعني الحق والعدل أي هي دعوة للنصارى واليهود إلى كلمة حق وصدق وعدل، وقد بين الله سبحانه وتعالى المراد منها بما ذكره في سياق الآية نفسها بقوله : ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:٦٤].

يقول القرطبي ــ رحمه الله ــ في تفسيره لها[٥٤] : " والسواء العدل والنصفة قاله قتادة، وقال زهير:

أَرُوني خُطّةً لا ضَيْمَ فيها يُسَوّي بيننا فيها السَّواءُ

ومعلوم أن النصارى واليهود قد أشركوا بالله سبحانه واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يشرعون لهم، يحللون ويحرمون بمنطوق

---

[54] تفسير القرطبي (٤ / ١٥٠)

الآية الكريمة ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١، ٣٢] وأنَّهم كفار بنص القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ ... [المائدة:٧٣]، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾... [المائدة:١٧]، ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ... [البينة:١]. ولقد بين الإسلام كيف تكون دعوتهم للإسلام، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم موصياً أمير الجيش الذي يرسله للقتال: "... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين "... إلى أن يقول :" فإن هم أبوْا فاستعن بالله وقاتلهم "[٥٥]. ويقول صلوات الله وسلامه عليه في كتابه إلى هرقل ملك الروم: " أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين..." [٥٦].وهذا ما سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم في تطبيق الإسلام وحمله إلى العالم على النحو الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فتقام الحجة عليهم بدعوتهم للإسلام فإن أبوْا كانت الجزية وإلاَّ فقتالهم في سبيل الله .

---

[55] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد (٤/ ٢)

[56] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب بدئ الوحي (١ / ٥)

- **التلطف بالخصم المعاند حتى يقبل الحق ولا يلج بالعناد. ورده إلى الصواب بالطريق الذي يعرفه وترك ما يستنكره .**

فإن المطلوب هو إيصال الحق إلى المحاور بأيسر الطرق وأقربها إلى تحقيق المقصود ، وفي ما جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش في صلح الحديبية إشارة إلى هذا المعنى ، فإنه لما أمر النبي صله الله عليه وسلم الكاتب أن يكتب ((بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا : ما نعرف (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهم ، فقال: (اكتب من محمد رسول الله) ، قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك [٥٧].

قال الشاطبي ــــ مُعلقاً على الحديث ومستنبطاً منه ــــ : " فعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا من حمية الجاهلية ، وكتب على ما قالوا ، ولم يجتشم من ذلك حين أظهروا النصفة من عدم العلم ، وأنهم أنما يعرفون كذا " [٥٨].

وقد وضع القرآن الكريم أرقى أساليب الحوار وأعدلها مع الخصوم وأنصفها لهم ؛ فعلم أتباعه كيف يكون حوار المخالفين وأمرهم باختيار الأسلوب الحسن والأحسن.. فقال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) {البقرة: ٨٣} وقال تعالى:(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) {النحل ١٢٥} وقال تعالى:(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) {العنكبوت: ٤٦}. فنلاحظ في هذه الآيات وأمثالها أن الحوار ينبغي أن

---

[57] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط (٣ / ١٧٢) .

[58] الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى ، ٧٩٠ه ، **الموافقات** ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٧ه : (٥ / ٤١٦ ـــــ ٤١٧).

يكون باختيار الأسلوب الأحسن واحترام المخالف وذكر نقاط الاتفاق، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ.

وتأتي قمة الإنصاف والتلطف بالمخالف في قوله تعالى:(.. وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) {سبأ:٢٥}.

قال أهل التفسير: هذا أسلوب التشكيك وحكمته التلطف بالخصم المعاند حتى لا يلجَّ في العناد ولا يفكر في الأمر الذي يجادل فيه، وإلاّ فالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون هم الذين على هدىً، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم لدى طرفي النزاع. وقوله تعالى: (قل لا تُسالون عما أجرمنا ولا نُسال عما تعملون) وهذا أيضاً من باب التلطف مع الخصم المعاند لتهدأ عاصفة عناده ويراجع نفسه عله يثوب إلى رشده ويعود إلى صوابه. وهو غاية في الإنصاف واحترام الخصم حيث لم ينسب له الإجرام الذي نسبه لنفسه.

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلاله: " والجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والاستسلام، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة.." [٥٩].

ومن هذا الباب جاء أمر الله لموسى وهارون ــ عليهما السلام ــ بأن يستخدما اللين من القول في خطاب فرعون في قوله تعالى لهما : " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو أن يخشى " (طه : ٤٤). لأن ذلك أدعى إلى تذكره وخشيته وهذه هي طبيعة النفس البشرية تنجذب إلى القول اللين ، ويسهل قيادها إلى

---

[59] سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، دار الشروق ، بيروت، ط٦ (٥ / ٢٩٠٥) .

الحق بذلك ، أما مع الجفاء والغلظة والشدة في العبارة فلا يجني إلا النفرة والفتور وإيغار الصدور والصدود عن سماع الحق أو الإذعان له .

وينبغي على الداعي إلى الحق أن تكون أولى مقاصده من الحوار وأسمى غاياته هداية المخالف إلى الحق وتأليف قلبه لاتنفيره ، ورحمته والإحسان إليه ومن لم يكن هذا قصده لم يكن عمله صالحا وإذا احتاج إلى التغليظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ، ليحذر الناس من الوقوع فيها كما في نصوص الوعيد وغيرها ، وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرا والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله للرحمة والإحسان لا للتشفي والانتقام [٦٠]. كما إن دعوة المخالف إلى الحق ينبغي أن تكون أولا ببيان الحق له بالأدلة من الكتاب والسنة وأن ذلك هو منهج أهل السنة والجماعة قبل التعرض إلى بيان ماعليه من الباطل والبدعة ، قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) [الأنعام :١٠٨] يقول الشيخ ابن عثيمين ــــ رحمه الله ــــ في معرض استدلاله بهذه الآية : " وهكذا أيضاً صاحب البدعة من المسلمين لا نهاجمه ببيان بدعته وذمها ، ولكن نبين له السنة أولاً ، ثم إذا استقرت السنة في نفسه سهل علينا أن نبين معايب بدعته " [٦١]

وإذا كان التشدد في الإنكار ، والتغليظ في العبارة ، وتجهيل الخصم مما قد يحتاج إليه المحاور ــ أحياناًــ فهذا لا ينبغي أن يكون من ثوابت الحوار وأصوله ، بل من حاجياته وتوابعه ، لأن المقصود الأول من الرد هو بيان نوع الخطأ ومقدماته ولوازمه ، وطريقة دفعه ، والتحذير من الدعاة إليه ، والخروج من المعهود العلمي للعبارات إنما يكون مع وجود المصلحة الراجحة

---

[60] أنظر : منهاج السنة (٢٣٩/٥ــــ ٢٤٠) .

[61] محمد بن يوسف العلي ، **إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم** ، دار الأندلس الخضراء ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ، ص٣٦٣

وإلا فإذا أدّى هذا التغليظ في العبارة إلى أن يتمادى المخالف في خطئه ، أو أن ينتصر لباطله ، أو يغتر العامة بالمخالف بسبب ما وقع عليه من شديد الكلام وغليظ العبارة فهذا ونحوه يمنع استعمال هذا الأسلوب مع المخالف.

ثم إن الغلو في الإنكار، والمبالغة في الزجر قد تؤول إلى إثارة الأحقاد ، وحدوث العداوة والبغضاء ، والانتصار للمذاهب والآراء ، فيضيع الحق بين تعصب المحاورين وعناد المخالفين .

قال الشاطبي _ رحمه الله _ : " إن الطعن والتقبيح في مساق الرد أو الترجيح ربما أدى إلى التغالي والانحراف في المذاهب، زائداً إلى ما تقدم ، فيكون ذلك سبب إثارة الأحقاد الناشئة عن التقبيح الصادر بين المختلفين في معارض الترجيح والمحاجة " .

وأكد الغزالي على هذا المعنى فقال : " أكثر الجهالة إنما رسخت في قلوب أهل العلوم بتعصب جماعة من جهال أهل الحق اظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء ، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة ، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها ، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة ، ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد و التعصب للأهواء ، لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقرا في قلب مجنون فضلا عن قلب عاقل . " [٦٢]

---

[62] الموافقات (٢٨٨/٥ـــــ٢٨٩٩)

- **رد شبه أهل الباطل ومغالطاتهم وتزويرهم للحق و بيان تناقض مذاهبهم وأقوالهم .**

من الأمور المتفق عليها عند عموم العقلاء من الخلق : أن الحق الواضح البين لا يرده أو يشكك فيه إلا المكابرون المعاندون من البشر ، ومن علامات هذا الحق أنه ثابت لا يتناقض أو يتبدل باختلاف الأمكنة أو تعاقب الأزمنة ، ولذا قال تعالى في وصف كتابه الكريم : { ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافاً كثرا }[النساء : ٨٢] وقال تعالى (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت:٥٣) وهذه العلامة المهمة الدالة على معرفة الحق وتمييزه عن الباطل ينبغي على المحاور المسلم أن يركز عليها ، فيبدأ بعد تقرير الحق بتقرير ما تضمنه كلام المخالف له من المقدمات الفاسدة والتناقض في الأجوبة تناقضاً دالاً على فساد مقالته و اضطرابه في العلم . وأن يُبين رجحان مذهب غيره عليه أو فساد مذهبه بتلك المقدمات وغيرها ، فإن المخالف إذا رأى تناقض قوله أو رجحان قول غيره على قوله اشتاق حينئذ إلى معرفة الصواب وبيان الخطأ ، فيبين له فساد تلك المقدمات التي بني عليها وصحة نقيضها ، ومن أي وجه وقع الغلط.

فمثلا في مناظرة الدهري أو اليهودي أو النصراني أو الرافضي أو غيرهم إذا سلك معهم المحاور هذا الطريق نفع في موارد النزاع فيتبين لهم الحق من الباطل ، وما من طائفة إلا ومعها حق وباطل ، فإذا خوطبت بيّن لها أن الحق الذي ندعوكم إليه هو أولى بالقبول من الحق الذي وافقناكم عليه ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالقبول من نبوة موسى وعيسى عليهما السلام "[٦٣]

---

[63] منهاج السنة (٢ /٣٤٤ ــــ ٣٤٥) .

ثم في بعض الحوارات يتعين على المحاور أن يبدأ بدفع المخالف ، وبيان فساد قوله وتناقضه قبل الشروع في بيان الحق ودعوته إليه ، فهنا مقامان :

١ــــ مقام دفع شر المخالف و الرد عليه .

٢ــــ مقام بيان الحق للمخالف ودعوته إليه .

والمحاور البصير يتخيّر بين المقامين وينزل حواره في المنزلتين بحسب المقام ومراعاة المصالح وقاعدة الأولويات .

كذلك فإن على المحاور من أهل الحق في نقضه لشبه المخالفين للحق أن يبدأ بنقض الشبه القوية قبل الشبه الضعيفة وهذا أساس مهم ينبغي على المحاور أن لا يهمله في رده على شبهات الكفار والمشركين ، فيشرع في إبطال الأقوى من الأدلة والشبه قبل الضعيف منها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــــ رحمه الله ــــ : " فإن جاز القدح فيما دليله أعظم وشبهته أبعد عن الحق فالقدح فيما دونه أولى ، وإن كان القدح في المسيح باطلاً فالقدح في محمد أولى بالبطلان ، فإنه إذا بطلت الشبهة القوية فالضعيفة أولى بالبطلان ، وإذا ثبتت الحجة التي غيرها أقوي منها فالقوية أولى بالثبات .

ولهذا كانت مناظرة كثير من المسلمين للنصارى من هذا الباب ، كالحكاية المعروفة عن القاضي أبي بكر ابن الطيب ،[٦٤] لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية ، فإنهم عظموه وعرف النصارى قدره ، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل ، فأدخلوه من باب صغير ليدخل متنحياً ،ففطن لمكرهم فدخل مستدبراً متلقياً لهم بعجزه ، ففعل نقيض ما قصدوه .

---

[64] قصة الباقلاني مع ملك الروم ومناقشاته مع النصارى مذكورة في " تبيين كذب المفتري " لابن عساكر (٢١٨ ــــ ٢١٩) ، وانظر هامش منهاج السنة ، (٢ / ٥٧).

ولما جلس وكلموه أراد بعضهم القدح في المسلمين ، فقال له : ما قيل في عائشة امرأة نبيكم ؟ يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقوله من الرافضة أيضاً ، فقال القاضي : اثنتان قُدح فيهما ورميتا بالزنا إفكاً وكذباً : مريم وعائشة ، فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج ، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج ، فأبهت النصارى .

وكان مضمون كلامه أن ظهور براءة عائشة أعظم من ظهور براءة مريم ، وأن الشبهة إلى مريم أقرب منها إلى عائشة ، فإذا كان مع هذا قد ثبت كذب القادحين في مريم ، فثبوت كذب القادحين في عائشة أولى "[٦٥] .

- **تمييز الحق من الباطل في المقالات والاعتقادات والأعمال من غير مداهنة أو مجاملة .**

الحوار المؤسس على أسس شرعية يكون سبيلاً لتمييز الحق من الباطل وإزالة كل ما يكون سببا في اللبس بينهما و ذلك مقصد شرعي عظيم أكد عليه القرآن في غير ما آية قال تعالى : (يا أهل الكتاب لما تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) (آل عمران : ٧١) وقال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (المائدة : ١٦) فمن خلال المناظرة والحوار مع المخالف يحصل عرض الأقوال وأدلتها، ويدلي كل طرف بحجته ، ويحصل بسبب ذالك المعارضة بين الأقوال، وترجيح الأقوى حجة وإسقاط الضعيف منها[٦٦].

---

[65] منهاج السنة ، (٢ /٥٦ ــــ ٥٧) .

[66] حمد العثمان ،**أصول الجدل والمناظرة** ، مكتبة ابن القيم ، الكويت ، ط ، ١٤٢٢ه (١٧٢)

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : " فالمحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق، ومن الجهل إلى العلم، ومن العمى إلى الإبصار "[٦٧]. إذا فالمقصد الأسمى والأهم للحوار هو تمييز الحق من الباطل في العقائد والعوائد والمذاهب ، بوضوح وصراحة وصدق وعدل ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

وأما المداهنة في دين الله فلا تجوز، فلقد طمع المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلين لهم وأن يسايرهم على باطلهم ومعتقداتهم، فيجاملونه هم أيضاً بمداهنة مثلها، ويظهرون له التسامح والرفق والملاطفة في معتقده، فنهاه الله –سبحانه– أن يوافقهم ويقبل منهم ذلك، وقال له في خطاب صارم قاطع:{إِن ربك هو أَعلَم بِمن ضلَّ عن سبِيله وهو أَعلَم بِالْمهتَدين* فَلا تُطع الْمكَذِّبِين*ودوا لَو تُدهن فَيدهنُون } (القلم: ٧ــ٩) .

يقول الإمام الطبري مبيناً ما في هذه الآية من تحذير من المداهنة في الدين: " ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك "[٦٨].

وقد أمر الله المؤمنين بالصدع بالحق وعدم كتمانه، فقال آمراً نبيه وهو في مكة: {فَا صدع بِما تُؤْمر وأَعرِض عن الْمشرِكين } (الحجر: ٩٤) .

وقال تعالى منبهاً ومحذراً المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل: {وإِذ أَخَذَ اللَّه ميثَاقَ الَّذين أُوتُوا الْكتَاب لَتُبيِننُّه للنَّاسِ ولا تَكْتُمونَه فَنَبذُوه وراء ظُهورهم واشتَروا بِه ثَمناً قَليلاً فَبِئْس ما يشتَرون } (آل عمران: ١٨٧)

---

[67] ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله ،٧٥١هـ ، **بدائع التفسير**:(١/ ١٥٢)، تحقيق : يسري السيد، صالح الشامي. دار ابن جوزي الرياض .

[68] جامع البيان (٢٩ / ٢١)

والمداهنة ليست من شأن المسلم ولامن سمته. وقال تعالى: {ولا تَتَّبِع أَهواءهم واحذَرهم أَن يفتنُوك عن بعضِ ما أَنزلَ اللَّه إِلَيك } [المائدة: ٤٩]

ولما جاء وفد نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم أسمعهم معتقده في المسيح عليه السلام، ولم يبال عليه الصلاة والسلام بغضبهم من ذلك، فقالوا: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: (وما أقول؟) قالوا: تقول: إنه عبد. قال: (أجل. إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول)، فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرنا مثله. فنزلت الآية: {إِن مثَلَ عيسى عند اللَّه كَمثَلِ آدم خلَقَه من تُرابٍ ثُم قَالَ لَه كُن فَيكُون } (آل عمران: ٥٩) [٦٩].

ولا يخفى أن المداراة أو الرفق في التعامل والحوار من آداب الإسلام في معاملة المخالفين، وأما المداهنة فهي محرمة لأنها لا تكون إلا مع بذل الدين .قال القاضي عياض رحمه الله: " المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا " [٧٠]. وقال القرطبي في التفريق بينهما: " والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا ، وهي مباحة، وربما استُحبت ، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا " [٧١]. ومما يدل على جواز الرفق والمداراة فعله عليه الصلاة والسلام ببسط الوجه وحسن اللقاء، مع أساطين الكفر وصناديد الشرك.فكراهية غير المسلم لكفره لا تمنع مجاملته في الخطاب الذي لا ينقص من قدر الدين، دفعا لأذاه أو وصولا إلى نفع للمسلمين منه، ففي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: " ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة " ، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له في القول، فقال: " أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من

---

[69] رواه الطبري في تفسيره : (٣ / ٢٩٦)

[70] فتح الباري (١٠/ ٤٥٤) .

[71] فتح الباري (١٠ / ٤٥٤)

تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه " [٧٢] وأخرج البخاري أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: " إنا لَنَكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم "[٧٣] . (الكشر: ظهور الأسنان وأكثر ما يطلق عند الضحك) [٧٤] . قال ابن بطال في شرح هذا الحديث: " المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة، فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه " [٧٥] . لكن المجاملة والمراءاة قد تؤدي ببعض المتحاورين أحياناً إلى شيء من المداهنة والابتذال، والخضوع بالقول، وكتمان الحق، والسكوت عن الباطل، وقد تدفع بالبعض إلى موادة محاوريهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين،وموالاتهم وموافقتهم في مواقفهم وآرائهم ومعتقداتهم، مما يوقع المحاور المسلم في سخط الله وغضبه. ولهذا ينبغي للمحاور المسلم الحذر، وأن يعرف الحد الفاصل بين المداهنة المحرمة وبين الرفق والمدارة والمجاملة الجائزة . ومن هذا المنطلق فإنه يجب على المحاور المسلم أن يفرق بين الحوار مع أتباع الأديان والمذاهب المختلفة على أسس شرعية ، وبين ما يروج له بعض مفكري الغرب من أصحاب التوجهات والمخططات المشبوهة ومن جاراهم من بعض المنتسبين للإسلام من فكرة التقريب بين الأديان ، والدعوة إلى توحيدها في دين واحد ، التي هي فكرة

---

[72] أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٧٨٠).

[73] أنظر :صحيح البخاري (٥ / ٢٢٧١)

[74] فتح الباري (١٠ / ٥٢٨)

[75] فتح الباري (١٠/ ٥٢٨) .

ماكرة و مبدأ باطني وماسوني يهدف إلى هدم منهج الإسلام في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وأنه هو الدين الحق الذي يجب على جميع الخلق إتباعه .واستبداله بمنهج تلفيقي يدعو إلى تذويب الحواجز بين الكفر والإيمان ، وتمييع الحدود الفاصلة بين ما هو حق وما هو باطل والقضاء على الخصوصيات ، و التعامل مع الطرف المخالف للحق على أساس أنه مؤمن ، لا على أساس أنه كافر يجب التعامل معه وفق ما تقضي به أحكام الشريعة في معاملة غير المسلم [٧٦].

- **تحقيق التعارف بين الشعوب والتعاون لما فيه خير الناس جميعا .**

الناس في هذا العصر يعيشون في عالم يتسارع فيه التغير والتغيير ، وتتداخل فيه الظواهر الثقافية والدينية والقضايا السياسية والمسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المناشط البشرية ، وتتشابك فيه العلاقات الدولية في طفرة معلومات وتقنية اتصالات .. ولم يعد بوسع أهل دين أو ثقافة أن ينفردوا بحل هذه المشكلات والإشكاليات ؛ مما يدعو الجميع لفهم مشترك للنظر في مستقبل البشرية ومنع وقوع صدامات اجتماعية أو حضارية أو انتشار ضروب من الكراهية الجماعية والعداء والاستعلائية .إن محاولات فرض العولمة أو إملاء النموذج الغربي أو الشرقي أو تبني الأحكام المسبقة والصور المشوهة عن المخالف .. كل ذلك يحتاج إلى مراجعة ونظر من خلال الحوار والتفاهم المشترك .. حوار يصحح الصورة والتصور ، ويفتح الميدان واسعاً للتعاون على البر والتقوى والمعروف والعدل والبر والإحسان ، ومقاومة الفساد والإثم والعدوان والمنكر والظلم والطغيان ، وبث روح التعايش

---

[76] دعوة التقريب بين الأديان . الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي (١ / ٣٣٣)

السلمي بين الشعوب ، وإبراز الجوامع المشتركة وقيم الاعتدال ، وسنة الله في الاختلاف والتعدد الإيجابي وتعميق المصالح المشتركة على حد قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣). ولا شك أن الحوار من أسس الحياة البشرية وأحد وسائل الرسالات السماوية .. ومن نهج أنبياء الله – عليهم السلام – فقوم نوح : (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) (٣٢ هود : ٣٢)، وفي إبراهيم قال تعالى : (وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ) (الأنعام :٨٠) وقوله سبحانه : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ ...)الآية (البقرة : ٢٥٨) ، ويوسف قال للسجينين : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (يوسف : ٣٩) ، وفي نبينا محمد – صلى الله عليه وعلى إخوانه جميعاً من النبيين والمرسلين – جاء قوله سبحانه : (.. وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..) (النحل : ١٢٥) .كل ما سبق يدل على أن اختلاف الناس هو المدخل للتعارف والتواصل والتعاون بينهم ، بل التسابق والتنافس إلى التعاون وعمارة الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف . لقد خلق الله البشر مختلفين – شعوبا وقبائل – ليتعارفوا ويتعاونوا .. لا ليتصارعوا ويتناثروا .. لقد جاء رسل الله جميعا – عليهم الصلاة والسلام – لهداية الناس وإصلاحهم وإسعادهم ودلالتهم على وجوه الخير وسبل التقوى وعبادة الله – سبحانه – عبر مسيرة الإنسانية من القيم الحافظة لجوهر الخير والتعاون والعدل في علاقات الناس : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد :٢٥). والحوار ليس دعوة مجردة للتفاهم فقط، بل حوار محدودة أركانه وأسسه فيه تأصيل وتنميه لمقاصد الخير والتعاون ، ونفي لما قد يشوبه أو يرد عليه من الخواطر السيئة والنوايا الخفية

التي لا تلبث أن تنكشف فتزيل الظنون وتفرغ الحوار من مضمونه أو عناصره الجوهرية – من الصدق والوضوح والإخلاص والتجرد – كما إن الدعوة إلى الحوار تستبطن التبادل والتفاهم المشترك .الحوار سعي يتوخى معرفة الطرف المخالف الصادق في طلب الحق ويتفهم نقاط الاختلاف والمغايرة معه ومدى القرب والبعد في المسافات بيننا وبينه ، ويتفاعل في مجالات الفكر المتنوعة ، ويتعاون معتمدا المقاصد الحسنة والقيم المستمدة من رسالات المرسلين والفطرة التي فطر الله الناس عليها قال تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فيه) (الشورى : ١٣).الحوار تبادل للأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات ؛ مما يزيد المعرفة ويوسع دائرة الفهم المشترك في جو من الاحترام والمعاملة بالحسنى والجدال بالتي هي أحسن بعيدا عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح ، بل مع القصد إلى إشاعة روح التفاهم والوئام فيما يقع فيه التوافق من ميادين النفع العام ومجالاته للبشرية جمعاء . الحوار نهج حضاري وفعل ثقافي رفيع يؤكد على المشترك الإيجابي بين الحضارات ويسهم في تثبيت السمة الرئيسية للثقافة الإنسانية واستجابتها للتطور والاغتناء والثراء في التفاعل فيما بينها ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . الحوار الناضج ينطلق من استعداد كل طرف لفهم الطرف الآخر ، ويتجنب إصدار الأحكام المسبقة .. مع الاتفاق والاستعداد لتحري الحق وقبوله في إطار من التفهم والعدل والرغبة المشتركة في تبني قيمة إنسانية مستقيمة في إحداث التفاعل الحضاري .. حوار يقوم على مبدأ التعاضد والتعاون في مواجهة العنصرية ونفي الآخر ، والبعد عن نزعات التفوق والاستعلاء ، والدعوة الصادقة الجادة لحماية كرامة الإنسان وحقوقه .

قائمة بأسماء المراجع

١- الحوار وآدابه، د.صالح بن عبد الله بن حميد، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٢- فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . فتحي الموصلي . الدار الأثرية

٣- الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة ، لابن القيم ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٨ه .

٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لابن حبان ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ه.

٥- الوحدة الإسلامية ، محمد رشيد رضا . ط المكتب الإسلامي .

٦- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية دار الكنوز الأدبية ، الرياض ، ١٣٩١ه. .

٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع _ عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد ، طبعة الملك فهد.

٨- جامع بيان العلم وفضله ، لابن حبان عبد البر ، دار الكتب الإسلامية ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٢ه.

٩- الحوار في القرآن الكريم للدكتور . محمد كمال المويل ، دار الفارابي ، دمشق ، ط١ ١٤٢٠.

١٠- مجموع الفوائد واقتناص الأوابد ، عبد الرحمن السعدي ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

١١- بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة .

١٢- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، مؤسسة الرسالة .

١٣- أصول الجدل والمناظرة ، للدكتور . حمد العثمان ، مكتبة ابن القيم _ الكويت

١٤- منهاج السنة_لابن تيمية، دار أحد .

١٥- مدارج السالكين : لابن القيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٦- صحيح مسلم للإمام مسلم ،المكتبة الإسلامية – تركيا.

١٧- صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية – تركيا.

١٨- فتح الباري : لابن حجر ، دار الريان .
١٩- عمدة القارئ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٢٠- إرواء الغليل : للألباني . المكتب الإسلامي .
٢١- تذكر السامع والمتكلم : لابن جماعة ، دار الكتب العلمية .
٢٢- آداب الباحث والمناظرة : للشنقيطي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٢٣- فن الحوار : لفيصل الحاشري دار الإيمان ، مصر .
٢٤- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ، دار ابن الجوزي .
٢٥- آداب الحوار والمناظرة ، للدكتور علي جريشة ، دار الوفاء ، مصر .
٢٦- إغاثة اللهفات : لابن القيم ، دار المعرفة ، بيروت .
٢٧- تيسير القرآن الكريم : للسعدي ، دار السنة .
٢٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، دار العاصمة ، الرياض .
٢٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن :عبد الرحمن للسعدي ، دار ابن الجوزي .
٣٠- إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم ، محمد بن يوسف العلي ، دار الأندلس الخضراء
٣١- الموافقات : للشاطبي .دار ابن عفان . السعودية .
٣٢- شرح صحيح مسلم: للنووي ، دار الريان للتراث .
٣٣- سيرة ابن هشام دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣٤- الجدل عند الأصوليين د_ مسعود بن موسى فلوسي ، مكتبة الرشد .
٣٥- أصول الجدل والمناظرة ، د_ حمد العثمان . مكتبة ابن القيم _ الكويت .
٣٦- دعوة التقريب بين الأديان للدكتور. أحمد بن عبد الرحمن القاضي ، دار ابن الجوزي.
٣٧- الرد على المنطقيين إدارة ترجمان السنة، باكستان .
٣٨- الشريعة : للآجري ،دار الوطن _ الرياض .
٣٩- أدب الحوار للدكتور . د .سلمان بن فهد العودة .
٤٠- فقه التعامل مع المخالف للدكتور . عبد الله الطريقي
٤١- الحوار مع أهل الكتاب ، للقاسم .
٤٢- زاد المعاد _ لابن القيم مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٤٣- فتح الباري _ لابن حجر العسقلاني ، دار أبي حيان ، مصر .

٤٤- مفاتيح الغيب التفسير الكبير _ للفخر الرازي ، دار الفكر.

٤٥- في أصول الحوار _ الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٤٦- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها _ د . إسماعيل علي محمد .

٤٧- حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل: دراسة تحليلية على ضوء مفهوم الولاء.

والبراء في الإسلام، تأليف: د.موسى الإبراهيم، دار الإعلام، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ ه/ ٢٠٠٣ م..

٤٨- التحرير والتنوير _ الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر _ تونس .

٤٩- حوار الأديان :دعوة أم تقارب أم تنازل، تأليف :د.عدنان النحوي، دار النحوي،

٥٠- الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، يوسف الحسن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م، منشورات

٥١- المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة.

٥٢- الحوار الإسلامي المسيحي، تأليف: بسام داود عجك، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ ه/ ١٩٩٨ م.

٥٣- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د.إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر، والتوزيع، ط

الأولى ١٤٢١ ه- ٢٠٠١ م.

٥٤- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، جمع وترتيب: أحمد الدويش(١ / ٨٠ـــ ٨١)، مكتبة العبيكان،

الطبعة الثانية، ١٤٢١ ه/ ٢٠٠٠ م.

٥٥- تفسير القرطبي . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥٦- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، مطبعة مصطفى الحلبي .

٥٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، دار الدعوة . تركيا .